بسم الله الرحمن الرحيم

الخميس 3/7/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة دعوت ربي

تحري الحلال

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

لقد سبق في درس ماض الحديث عن تقنيات الدعاء, وأنَّ العلماء جعلوا آداباً للدعاء, وكنت توقفت معكم مع أدب من آداب الدعاء وهو تعظيم المسألة, فإذا أردت أن تسأل الله عز وجل فعظم المسألة؛ لأنَّك تسأل رباً كريماً.

اليوم يوجد أمر خاص يخص كل واحد منا في مسيرة حياته, بينه وبين ربه له أثر كبير على مسألة الدعاء, وهو أدبٌ لازم من آداب الدعاء, لكنَّ هذا الأدب ليس آنياً بمقدار ما هو يحكي سيرة حياة.

الحديث عن تحري الحلال في المطعم, إذا أردت أن يكون دعاؤك مجاباً من حضرة الله عز وجل, فعليك أن تتحرى الحلال في مطعمك, سأل سيدنا سعد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة قال: «**يا سعد أطب مطعمك تستجب دعوتك**» [المعجم الأوسط للطبراني].

مسألة تحري الحلال عند القاصدين درب الله عز وجل مهمة جداً, تجدهم حريصين على ألا يدخلوا في أجوافهم إلا حلالاً, على ألا يدخلوا لأولادهم ولا يطعموهم إلا حلالاً, وربما رأيتهم تركوا بعض الأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية التي فيها مظنة أرباح كبيرة؛ لأنهم خافوا أن تكون حراماً أو حتى خافوا أن تكون مشبوهة, حتى ورد عنهم: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: ((تَرَكْنَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الرِّبَا)) [مصنف عبد الرزاق الصنعاني]؛ ذلك لأنَّ الأمر ببساطة مرئي لكل منا.

الزروع والفواكه والثمار التي تسقى بماء نقي تخرج نضرة طيبة فواحة الرائحة مفيدة, والزروع والثمار التي تسقى بماء نتن وإن كان شكلها شكل الفاكهة والخضار, لكنها ضارة ومؤذية, ولا لون لها صحيح ولا طعم لها صحيح ولا رائحة لها صحيحة, فهناك فرق بين الدراق الذي تأتي به من مضايا

وقد سقي بماء نقي, وبين الدراق الذي يسقى بماء آس, فرق بين التفاح الذي تأتي به من رنكوس والذي سقي بماء الثلج, وبين التفاح الذي سقي بماء نتن.

إذا أردت أن تكون مجاب الدعوة مهم جداً أن تتحرى في رزقك, ولا يهمك ما يفعل الناس, حلال حرام هات؛ لأنك رجل تنظر إلى مدى أبعد, تنظر إلى الآخرة أكثر من نظرك إلى الدنيا, وتنظر في رضى الله عز وجل.

أحد أصدقائنا كنا لما نجلس مع بعضنا البعض نتدارس ونتسامر في مسائل بالجملة, يمر من طريق المصادفة حديث عن عدد الإخوة والأخوات, فكان هذا الصديق كلما مرت هذه السيرة أخفى عنا عدد إخوته وأخواته.

في المرة الأولى لم أتنبه للأمر, بعد أشهر عاد الحديث مرة ثانية بطريق المصادفة, فلما وصل الكلام إليه أخفى العدد! لا أحد يخفي عدد إخوته وأخواته, لكنه كان يخفي الرقم ويتجنب أن يصرح, فأثار هذا الأمر فضولي, وفي جلسة خاصة معه قلت له: لم تخفي الرقم؟! كم أنتم؟ فقال: نحن ستة عشر واحداً وكلنا يحفظ كتاب الله, طبيب عصبية, طبيب أسنان, صيدلاني, محاسب, مهندس زراعي, وكلهم حاصلون على شهادات جامعية, وكلهم يحفظ كتاب الله.

شيء عجيب, من المؤكد أنَّ هذه الثمرة سقيت بماء خاص جداً, أما إذا كان الماء قد جاء كيفما تيسر, لا تخرج هكذا ثمار, لذلك تحري الحلال مهم جداً في إجابة الدعاء, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51] **وَقَالَ:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**» [مسلم].

انظر بالله عليك إلى هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾, أمر أنبياءه أي صفوة الخلق, ثم أمر بنفس الأمر عباده المؤمنين فما هو الأمر؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

قال العلماء: ((الطيبات ما كان من الحلال)).

أمر الله الرسل ألا يأكلوا إلا من الطيبات, وأمرك ألا تأكل إلا من الطيبات, فأنت تتغذى غذاءً ملكياً, نفس الغذاء الذي يتغذاه الرسل يغذيك إياه رب

العالمين, وإذا قال أحدهم أنا لا أبالي بهذا الموضوع, فأنت الذي سيتضرر من هذا الأمر.

ثم قال: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

يدعو كثيراً وينادي كثيراً ويسأل كثيراً, لكن كل المحيط الذي مبني عليه نسأل الله السلامة من مال حرام كيف يستجاب.

قال أهل التربية الروحية: ((قال الله تعالى ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل)).

الذي يريد أن يعمل صالحاً يجب أن يأكل طيباً, لا يجوز أن يأكل واحد الخبيث ثم يتوقع أن يعمل الصالحات, تأكل الطيب يخرج منك الطيب, وإذا إنسان أكل خبيثاً لا يخرج منه إلا أفعال خبيثة.

قال عمر رضي الله عنه: ((بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح)) [جامع العلوم والحكم].

عَنْ أَبِي عُمَرَ الصَّفَّارِ، قَالَ: ((الْعِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ: تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْحَلَالِ)) [جزء محمد بن عاصم الثقفي].

كان هناك طالب يدرس في المسجد في ثلاث كليات مع بعضها البعض, يدرس في كلية الأدب العربي وفي كلية الشريعة وفي كلية أصول الدين, في السنة الأولى في ثلاث كليات, وفي السنة الثانية في ثلاث كليات, وفي السنة الثالثة في ثلاث كليات, لكنَّ اللافت في الأمر بأنه الأول في الكليات الثلاث, ومع هذا كله هو حافظ لكتاب الله عز وجل ومعه إجازة, والآن هو يجمع القراءات العشر.

هذا الشاب من أسرة بسيطة... سبحان الله أحببت أن أخدمه بشيء, وأحببت أن أتقرب إلى الله بخدمته, فهناك أناس (نوعيون) خدمتهم تنفعك أنت, فحدثت عنه أحد الإخوة فقال لي: يا أستاذ سأعتبر هذا الطالب موظفاً عندي وأعطيه راتباً شهرياً هدية, ولكن ليبقَ على عمله في الدراسة فقلت للطالب هذا المال هدية ولك مثله في بداية كل شهر حتى تستعين به على دراستك, فقال: والله إني أحبك كثيراً ولكن لا أستطيع أن آخذ هذا المال, قلت: لماذا؟ قال: لأني حافظ لكتاب الله عز وجل, وأخاف أن يكون هذا المال فيه شيء من الحرام فيدخل في جوفي فأنسى القرآن الكريم...

الله أكبر! ما هذه الرقة في الإحساس يقول: أخاف أن أعاقب بنسيان القرآن الكريم, فقلت له: إنَّ ما أعرفه عن هذا الرجل الذي يريد أن يتساعد معك في مسألة سلوكك إلى الله عز وجل أنه يتحرى الحلال في ماله.

الناس الذين يريدون أن يصبحوا شيئاً كبيراً في الدنيا والآخرة يراعون جداً ما يدخل إلى أجوافهم وأجواف أولادهم.

قال سهل التستري: ((لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ أَرْبَعُ خِصَالٍ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ بِالسُّنَّةِ وَأَكْلُ الْحَلَالِ بِالْوَرَعِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت)) [إحياء علوم الدين], والشاهد قوله: (أكل الحلال) فالفرائض تحتاج إلى صبر, وترك المنهيات تحتاج إلى صبر, وأكل الحلال يحتاج إلى صبر؛ لأنَّ فتن الحرام تحيط بك من كل مكان, وفي كل يوم أنا وأنت نتعرض لصفقات بالحرام ولمبالغ بالحرام, لذلك حتى يعرف الإنسان الحلال من الحرام على أقل تقدير مطلوب أن يعرف فقه المعاملات المالية, لذلك نحن وضعنا مشروعاً لمدة خمسة عشر سنة وقد مضت منها خمس سنوات في أن نوصل معرفة الحلال والحرام لأكبر عدد ممكن من الناس, وكنا قد عقدنا دورات في السنوات الماضية, ونحن مستمرون بها إن شاء الله تعالى, دورات في فقه الحلال والحرام, وجمعية البركة تحمل مشروع إدخال أخلاقيات العمل إلى السوق التجاري حتى يصبح كل واحد فينا يعرف ما هو الحلال وما هو الحرام في مهنته وفي عمله, حتى ينقي ماله ليخرج حلالاً صرفاً, فينتج إن شاء الله تعالى إجابة في الدعاء, وينتج إن شاء الله تعالى سعادة له في الدنيا وفي الآخرة.

إنَّ من أهم الآداب الباطنة للدعاء, والتي تشكل مسيرة حياتك والسيرة الشخصية لك في تعاملاتك المالية تحري الحلال, أنكَ تتحرى الحلال وأنكِ تتحرين الحلال, فإذا تحريت الحلال ورفعت يديك إلى السماء وقلت يا رب كان هذا مدعاة إن شاء الله تعالى لإجابة الدعاء.

نسأل الله أن يجعلنا ممن تستجاب دعوتهم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.